نشأة القصة القصيرة في الأردن وتطورها

د. بلال أحمد شاه*

ملخص البحث:

شهدت السّاحة الأدبية في الربع الأخير من القرن الماضي تغيرا لافتا في مفاهيم الأدب ووظائفه، وتنوعت طرائق العرض وأساليب القول، نتيجة لما أصاب العالم من تسارع تكنولوجي محموم، وتغيرات حادة على الصعيد السّياسي والاقتصادي والاجتماعي والثّقافي، تبع ذلك تغير في أشكال التّعبير، وتغير الذائقة في الإبداع والتلقي. والأدب أحد أهم المكونات التي أصابها هذا التّغير، وكانت القصة القصيرة من أبرز إفرازاته. وقد شهدت السّاحة الأدبية الأردنية والعربية نموا مضطردا بهذا اللون القصصي، بوصفه أحد أهم نتاج مرحلة التّجريب التي عاشتها القصة، وعلى الرغم من افتقاره إلى القواعد والأسس الناظمة والمميزة له، إلا أنه لقي رواجا وحضورا في المشهد الأدبي، ساعد في ذلك وسائل الاتصال الحديثة، التي راقها أن تجد أدبا بحجم المساحة المتضائلة يوما بعد يوم، فزخرت به الصحف اليومية والمجلات والمدونات الإلكترونية. والقصة القصيرة ليست جنسا أدبيا متفردا بذاته، بل هي تعبر عن مرحلة متطورة في الإبداع الإنساني، تمرد على التفصيل، والاستطراد، والحشو، التي لم تعدّ تتلاءم مع الحداثة في الزمان وفي المكان وفي وسائل الاتصال. فجاء هذا اللون القصصي مكثفا مختزلا في معظم عناصره، مهتما باصطياد اللقطات الإنسانية المهمة وتدوينها ومعالجتها بأسلوب ساخر جميل. شهدت السّاحة الأردنية احتفاء لافتا بهذا اللون القصصي، فكثر كتابها، وكثر قراؤها، وتناولتها أقلام النّقاد بالبحث والدّراسة. وفي هذا البحث سنقدم دراسة شاملة

* المحاضر في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة كشمير، الهند.

عن ظهورها (أي القصة القصيرة) في الأدب العربي، ونبين نشأتها وتطورها في الأردن وهو غاية الدراسة والبحث.

الكلمات المفتاحية: القصة القصيرة، الأدب العربي، الأردن، القصة الأردنية، النشاطات الأدبية.

المقدمة:

إن التّجربة الأردنية لم تتخلف عن التّجارب العربية، بل ترافقت معها في الزمان، والقيمة الفنية، وحجم المنجز، وكان للمرأة القاصة مشاركة قوية في كتابة هذا اللون، فاقت إسهام القاص الرجل، معظم القاصات الأردنيات كتبن القصة القصيرة، على الرغم من شروطها الجمالية الصعبة، إلا أنها تجاوبت مع هموم المجتمع الأردني وحاجاتها، وكان للهموم الاجتماعية قصب السبق، دون إغفال لقضايا الأمة الوجدانية والمصيرية.

لقد شهدت القصة القصيرة في الأردن سبعا وتسعين سنة من عمرها (١٩٢٢-٢٠١٩م)، وفي هذه المدة الطويلة لقد مرت القصة القصيرة الأردنية على مراحل مختلفة من نشأتها وتطورها. ويرى الباحث أن القصة القصيرة الأردنية ما زالت تنشأ عاما فعاما وعقدا فعقدا حتى حصلت على النضج الفني في الخمسينيات والستينيات، وبرعت في الصّورة الفنية الكاملة في السبّعينيات وما بعدها، أن الظروف المختلفة سببت ظهور القصة القصيرة في الأردن ولكن هذا الظهور لم يأت فجأة، ولم تتكمل نشأة القصة القصيرة في مدة قليلة. ولمزيد من الإيضاح، سنصور القصة القصيرة في صورة بناء، فكما أن البناء لا يتكمل في ليلة، إن القصة القصيرة في الأردن لم تتأتّ في الصورة الفنية الكاملة في سنة أو سنتين، بل مرت سنون في تشكيل القصة القصيرة بملاحها الفنية المتميزة.

المدخل:

مرحلة الظهور للقصة القصيرة في الأردن تمتد من عام ١٩٢١ إلى عام ١٩٤٨م، وهذه المرحلة قد سميت مرحلة الولادة للقصة القصيرة، فالرواد في بداية

المرحلة غرسوا البذور للقصة القصيرة والأدباء الخالقون قاموا بتربية الشجيرات، حتى صارت هذه الشّجيرات عبر العصور أشجارا كبيرة ناضجة، وليلاحظ أن نشاة القصة القصيرة في الأردن قد ظلت تحت الأدب الفلسطيني، وهناك عديد من الأدباء الذين ساهموا في القصة الأردنية، والقصة الفلسطينية معا، ولذلك تتلاحق دراسة القصة الأردنية والقصة الفلسطينية، ويمكن لنا أن نقول إن الأدب الفلسطيني كان عاملا رئيسيا في ولادة القصة القصيرة في الأردن، وهذا الأمر يتحقق من أن الرواد للقصة القصيرة في هذه الفترة لقد جاءوا من البلاد المجاورة خاصة فلسطين وسوريا، فهذا الفن قدم إلى الأردن من خلف الحدود، فأبو غنيمة كان يقيم في الشام وينتقل بين دمشق وإربد وحلب وإستنبول واستقر لفترة في برلين، وقدم كل من شكري شعشاعة ومحمود سيف الدين الإيراني من فلسطين، وكان للقصة القصيرة في هذه الفترة ميزات تمتاز بها، هي مرحلة الولادة للقصة القصيرة ونشأتها الإبتدائية، لذلك لم تشاهد هذه المرحلة العمل القصصي على نطاق واسع، ولهذا كانت المجموعات القصصية قليلة في هذه الفترة كما كانت أسماء كتابها محدودة أيضا. ففي الثلاثينيات من القرن العشرين، لم يكن هناك سوى عملين قصصيين : الأول كتاب " وطنية خالدة وأزاهير الصحراء" لروكس بن زائد العزيزي الذي صدر عام ١٩٣٦م، والثاني "أول الشوط" لمحمود سيف الدين الإيراني الذي صدر عام ١٩٣٧. والقصة القصيرة في هذه المرحلة كان مفهومها ساذجا وبسيطا وسطحيا فهي كانت تمثال الأساطير الرائجة في الأزمان السالفة، ولذلك لم يك هناك حبكة مرتبطة ووحدة الانطباع في المعنى الفني وغيرها من المكونات التي تعد لازمة للقصة القصيرة. وهذه الميزة تتم عن طفولة القصة القصيرة في هذه المرحلة، ويقول محمد يوسف عبيدات"تأسست جذور القصة القصيرة على الحكايات ذات الأبعاد الأسطورية والغيبية، والموروث الفلكلوري الشعبي، بما يعمله هذا المورث من بساطة في التركيب

والطرح، فلم تغب صورة الجان والعفاريت، والأمير والفقير، والنبع والبادية كمكون رئيس من مكونات القصة ومفرداتها الأكثر شيوعا"[1]. وقد رأى سمير قطامي أن من الصعب إدراج أعمال هذه الفجوة ووضعها في أطر فنية، لأنها قامت على بناء فني بسيط وأدوات تعبيرية ساذجة، لا تتعدى باب الحكاية أو الخبر المساق للوعظ والإرشاد، وقد كانت الصبغة الغالبة للقصص هي التدخل السافر وفرض الآراء، سمات واضحة تميز أقاصيص هذه الطلائع، وتضعف التكنيك القصصي، والبناء الفني فيها[2].

ولدت القصة القصيرة في الأردن مع ولادته بوصفه بلدا جيوسياسيا، وبالتحديد عام ١٩٢٢م، وقد أجمع الدارسون على أن "محمد صبحي أبو غنيمة" (١٩٠٢-١٩٧٠م) هو أول من كتب قصة أردنية. ولا يريد الباحث الخوض في الظروف التي أدت إلى ولادة هذا الفن، ولكن لا بد من تسجيل جملة من الملاحظات.

يرى الباحث أن تخلق هذا الفن (في الأردن) لم يتأت فقط من الخلل الذي أصاب التركيبة الاجتماعية، وإعادة توزيع الطبقات الاجتماعية، وبالتحديد ولادة طبقة جديدة هي الطبقة البرجوازية، إذ لم يكن المجتمع الأردني في ذلك الزمان أكثر من طبقة واحدة، طبقة رعوية أمية، تحكمها قوانين القبيلة، حيث لا غني فيها ولا فقير، أمة لا تقرأ ولا تكتب، خلافا للبلدان المجاورة " مصر وسوريا وفلسطين والعراق" حيث شهدت تلك الأقطار التكوين الطبقي الثلاثي، والتغيرات الملموسة لهذا التكوين في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وعلى نحو يذكر بما حصل في أوربا قبل ذلك بقرن ونصف. فالأردن بإمكاناته لم يعرف طبقة إقطاعية على النحو الذي عرفته البلدان المجاورة.

---

[1]. ياغي عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٣م.
[2]. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الاردن، (١٩٢١-١٩٤٨)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٨٩م.

فهذا الفن قدم من خلف الحدود، فأبو غنيمة كان يقيم في الشام ويتنقل بين دمشق، إربد، حلب، استنبول، واستقر لفترة في برلين، وأصدر فيها أول مجلة عربية، هي "مجلة الحمامة". وقدم كل من "شكري شعشاعة" و"محمود سيف الدين الإيراني" من فلسطين، وهؤلاء جميعهم اطلعوا على تجارب الأمم الأخرى في القصة، ساعدهم في ذلك إتقانهم لغات تلك الأمم. فأبو غنيمة أتقن التركية والألمانية، و"عيسى الناعوري" الإيطالية، و"خليل بيدس" الروسية، و"عبد الحميد ياسين" الفرنسية والإنجليزية، حيث كان لهم تأثير واضح في مسيرة القصة الأردنية. ولا نغفل مطلقا نشوء وتكون شريحة اجتماعية متعلمة، ساهمت في تكوين خصائص جديدة للمجتمع الأردني، وأغنت المشهد الأدبي عموما، ومعظم هؤلاء ممن تلقوا تعليمهم في مدارس بيروت ودمشق.

وإن كانت نصوصها تقترب من القصة القصيرة، فقد كانت المجموعات القصصية في هذه الفترة قليلة جدا، وإن أسماء كتابها كانت محدودة أيضا، وظلت على مدى عقود هي ذاتها، ومسكونة بالرؤى الذاتية في أغلب الأحيان.

تأسست جذور القصة القصيرة على الحكايات ذات الأبعاد الأسطورية والغيبية، والموروث الفلكلوري الشعبي، بما يحمله هذا الموروث من بساطة في التركيب والطرح، فلم تغب صورة الجان والعفاريت، والأمير والفقير، والنبع والبادية كمكون رئيس من مكونات القصة ومفرداتها الأكثر شيوعا، وكأنها انعكاس لمنظومة المفاهيم والقيم الاجتماعية البسيطة السائدة آنذاك.

ومع تقدم الزمن وفي الثلاثينيات تحديدا، شهدت الأعمال القصصية تحول القاصين للتاريخ، يغرفون منه قصصهم ويسقطونها على الواقع الاجتماعي، (كأبناء الغساسنة، وإبراهيم باشا) عام ١٩٣٦م لـ"روكس العزيزي". والسبب هو عقم الحراك الاجتماعي الذي يولد تفاعل الأديب مع بيئته.

كان لصدور المجلات والصحف في نهاية المرحلة أثر بارز في نضج التجربة الأردنية، فقد حفلت مجلتا الرائد والجزيرة، بالعديد من القصص، وكثرت

الأسماء والمجموعات، وقد وصل عدد الصحف في شرق الأردن بين عامي ١٩٢٣-١٩٤٩م[٣]، اثنتين وأربعين صحيفة ومجلة، بين أهلية ورسمية ومدرسية وحزبية، ولعل أول مجلة أصدرها أردني هي مجلة الحمامة، لـ"محمد صبحي أبو غنيمة" في مدينة برلين. وقد رصد أسامة يوسف شهاب، تسعا وأربعين قصة منشورة في جريدة "الجزيرة"، لسبعة وثلاثين كاتبا، بين عامي ١٩٣٣-١٩٥٢. ورصد "عبد الرحمن ياغي" أكثر من عشر قصص نشرت في مجلتي الرائد والجزيرة، كتبها كل من عيسى الناعورين فالح الغرايبة، متري شرايحة، عبد الحليم عباس، صالح السلفيتي، عبد الرزاق الحمود، وأديب عباسي.[٤] وحتى في هذه المرحلة، كان مفهوم القصة ساذجا وبسيطا وسطحيا، يقوم على قص حادثة أو حكاية، غالبا ما تكون.

ذاتية معرفة المكان والزمان والشخصيات، ناهيك عن تدخل القاص في توجيه أحداث القصة، مبديا سروره أو امتعاضه من موقف ما، وموجها ومرشدا بطريقة مباشرة. وقد رأى "سمير قطامي"، أن من الصعب إدراج أعمال هذه الفترة ووضعها في أطر فنية، لأنها قامت على بناء فني بسيط، وأدوات تعبيرية ساذجة، لا تتعدى باب الحكاية أو الخبر المساق للوعظ والإرشاد، فلم يكن مستواها بشكل عام في أواخر الثلاثينيات أفضل مما كتب في أوائل الثلاثينيات. وقد كانت الصبغة الغالبة للقصص، هي التدخل السافر وفرض الآراء، سمات واضحة تميز أقاصيص هذه الطلائع، وتضعف التكنيك القصصي، والبناء الفني فيها".[٥]

---

٣. محمد عبيد الله، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ص ٣٥، ٢٠٠١م.

٤. أسامة يوسف شهاب، صحيفة الجزيرة الأردنية: دورها في الحركة الأدبية، وزارة الثقافة الأردنية عمان، الأردن، ص ١٥٥، ١٩٨٨م.

٥. عبد الرحمن ياغي، القصة القصيرة في الأردن، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، ص ١٦، ١٩٩٣م.

ومن هنا نستطيع القول: "إن الأعمال القصصية في الفترة الأولى، لم تقترب من الواقع، ولم تتفاعل مع الحياة، ولم تتناغم مع مسيرتها وحركتها الدائبة، بل اقتصرت على إجراء بعض التجديدات المحدودة والبسيطة في الشكل الفني الذي كان سائدا في الساحة العربية، عن طريق تضمين أعمالهم بعض البصمات الحياتية، والتساهل في استخدام اللغة الثالثة"[٦]، وهي اللغة المزيج بين الفصحى والعامية. ثم الاقتباس من اللغات الغربية، مع أن الركائز الأساسية للتطور، والأسس الفنية التي يقوم عليها، والتي تحتاج إلى الانغماس في الواقع بقيت على حالها. "أي أن الأدب لم يحتف بالواقع، ولم يجعله همه المفضل إلا في الخمسينيات من هذا القرن"[٧].

مرحلة النضج ١٩٥٠- ١٩٧٠ م:

شهدت هذه المرحلة تزاوجا اجتماعيا بين النازحين من فلسطين، وسكان شرق الأردن، إثر نكبة عام ١٩٤٨م. فالقادمون من فلسطين بما يحملونه من قيم معرفية وحضارية ساهموا مساهمة كبيرة في تغير البنية الاجتماعية لسكان شرق الأردن، ما عكس أثره على مناحي الحياة كافة، وقد أصاب القصة القصيرة كغيرها جانب كثير من التأثير نتيجة هذا التزاوج، وكان لقضية فلسطين حضور فاعل في نتاج هذه المرحلة، وبدأت المجموعات تتوالى، ولمعت أسماء كان لها حضور مهم في الساحة الأدبية مستقبلا. ويسجل الباحث هنا المجموعات القصصية التي صدرت في هذه الفترة.

١- من وحي الواقع	أمين فارس ملحس	١٩٥٢م
٢- عطف أم وقصص أخرى	عبد الحميد الانشاصي	١٩٥٢م
٣- الأخوات الحزينات	نجاتي صديقي	١٩٥٣م
٤- شعاع النور	محمد أديب العامري	١٩٥٣م
٥- وطنية خالدة وأزاهير الصحراء	روكس العزيزي	

[٦]. سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرق الأردن ١٩٢١-١٩٤٨م، وزارة الثقافة، عمان، ص ١٤٧، ١٩٨٩م.
[٧]. جاسم عاصي، نظرة شاملة في المشهد القصصي الأردني، ٢٠٠٠م.

٦-	طريق الشوك	عيسى الناعوري	١٩٥٥م
٧-	المجنون يعشق الموت	ميشيل الحاج	١٩٥٥م
٨-	مع الناس	محمود سيف الدين الإيراني	١٩٥٥م
٩-	خلي السيف يقول	عيسي الناعوري	١٩٥٦م
١٠-	قصص ونقدات	حسني فريز	١٩٦٧م
١١-	الدحنون	محمد سعيد الجندي	١٩٥٩م
١٢-	عشر قصص مصورة	عبد الحميد ياسين	١٩٥٩م
١٣-	عائد إلى الميدان	عيسي الناعوري	١٩٦١م
١٤-	حبة البرتقال	محمد عناني	١٩٦٢م
١٥-	ما أقل الثمن	محمود سيف الدين الإيراني	١٩٦٢م
١٦-	يا أيها الإنسان	يوسف العظم	١٩٦٢م
١٧-	الشيوعي المليونير	نجاتي صديقي	١٩٦٣م
١٨-	متى ينتهي الليل	محمود سيف الدين الإيراني	١٩٦٣م[٨]

وقد كان لانتشار التّعليم وانتشار المدارس في مختلف أرجاء البلاد، وتوفر ظروف سياسية مناسبة كالصراع الذي دبّ بين الدول العربية (التقدميّة) التي تنادي بوحدة الأمة العربية وتحررها، وبين دول اتهمت بالرجعية والعمالة، ثم الصراعات الأيديولوجية الكثيرة والمتباينة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، كل ذلك أدى إلى ولادة شريحة اجتماعية مثقفة، وتبعا لنشوئها، ازداد انتشار الصحف والمجلات ودور النشر، وطباعة الكتب مما شكل بيئة مناسبة لانتشار الفن القصصي، ولم تعد القصة مجرد كذبة متفق عليها بين القاص والقارئ، أو موعظة أخلاقية، أو خلاصة تجارب ذاتية، إنما أصبحت مكونا مهما من مكونات المشهد الفكري والثقافي، ووسيلة من وسائل التغيير في المجتمع، وكان لعمليات الترجمة واطلاع الكتاب على نتاج كبار القاصين العالميين، أثر في خلق بيئته مناسبة لازدهار هذا الفن.

[٨] حسين جمعة، القوس والوتر، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص ١١، ٢٠٠١م.

ويسجل الباحث على هذه المرحلة الملاحظات التالية :

- ازدياد عدد القاصين وازدياد الإصدارات زيادة ملحوظة، وهو ما يؤشر على زيادة الوعي الثقافي للمجتمع بعمومه، مع ملاحظة أن بعض القاصين استحوذوا على نصيب الأسد في نسبة الإصدارات، فقد أصدر كل من "عيسى الناعوري" و"محمود سيف الدين الإيراني" ست مجموعات من أصل ثماني عشرة مجموعة هي مجمل الإصدارات في الأردن.
- لم تكن القصة في مفهوم كتابها، تعني أكثر من حكاية لحادثة بسيطة ذات مغزى أخلاقي، أو رسما سريعا لانطباع ما عن شخصية من الشّخصيات أو قضية من القضايا، وقد كانت هذه النظرة شخصية بدرجة نستطيع معها أن نقول " إن الكاتب وهو يتناول الشخصية المأزومة لم يمتد بها ليشمل أفراد المجتمع، ولم يحاول أن يكشف جميع الشخصيات التي يعرضها، وحتى حين يعرضها يتناولها من زاوية معينة".
- الاعتماد على أسلوب السّرد التلقيني، والوصف المخل بسلاسة وتتابع الأحداث. فقد كان القاص يقوم بتصوير الشخصية تصويرا مباشرا، وبعد ذلك يدخلها جو القصة عنوة دون أن يتيح لها رسم صورتها من خلال حركتها داخل النص القصصي.

وبصورة عامة اختفت المبالغات والمصادفات اللامعقولة، واختلف الخطاب القصصي، فما كان مقنعا في الأربعينيات لم يعد كذلك في مجتمع متعلم. ثم خفت وتيرة العودة للتاريخ واستقرائه، ومالت القصة إلى معالجة قضايا اجتماعية، كالعلاقة الزوجية، والأمانة والغدر، ورغم ذلك بقيت القصة في المراتب الأخيرة من اهتمام الأدباء

والمثقفين "اعتادت الصحف أن تنشر في صفحتها الأخيرة قصة يتسلى بها القراء إذا ما فرغوا من تصفح سائر الأبواب"[٩]، ولعل ذلك اعتراف بمكانة القصة القصيرة.

- يلحظ أنه من سنة ١٩٦٣ إلى سنة ١٩٧٠م، لم تصدر أية مجموعة قصصية، ما يستدعي دراسة هذه الظاهر دراسة معمقة باحثة عن الأساليب.
- غياب حركة النّقد غيابا نهائيا، ما نتج عنه استمرار الأعمال القصصية ضمن نمطية واحدة، وتقليد ما ترجم من أعمال لعمالقة القصة الغربيين، لا سيما وأن حركة الترجمة راجعت رواجا لافتا في هذه المرحلة.

وبالرغم من أن هذه المرحلة في القصة الأردنية كانت تهتم بمحتوى النص لا بشكله فقد شهدت عمليات تمرد وخروج عن هذا المنهحى، لكنها لم تكن سوى محاولات لم تلبث في مرحلة قادمة من أن تصبح ظاهرة حين أصبح التعاطي مع النص القصصي كوحدة متكاملة.

وقد أراد الباحث من وراء سرد هذه التفاصيل عن بدايات الفن القصصي في الأردن، ومرورا بمرحلة النضج التي عاشها المشهد القصصي، بيان المستوى الفني لهذا اللون الأدبي في مراحله الأولى وكيفية تطوره مع مرور الأيام، سواء على مستوى الرؤى أو القضايا، أو الأساليب وأدوات ووسائل التشكيل الفني، وهو ما يوصلنا إلى مرحلة جديدة من مراحل تطور القصة القصيرة.

مرحلة التجريب:

---

[٩]. حسن عليان، فن القصة القصيرة في فلسطين، القصة القصيرة في الأردن، أوراق ملتقى عمان الثقافي، دار أزمنة عمان، الأردن، ص ٦٠، ١٩٩٤م.

وهي مرحلة الخروج على القوالب الجاهزة، والتحلل من الأطر التقليدية في الكتابة، وهي التي عكست حالة القلق والتوتر التي أصابت المثقف الأردني، نتيجة الهزائم والانكسارات التي أصابت وجدانه، مما أدى إلى تخلخل القديم والمبادئ الناظمة لحياة الأمة، وظهور مستويات جديدة من الصدام بين المثقف الأردني، والواقع الذي يعيشه، وكان لاطلاع القاصين الأردنيين على ثقافات وتجارب الأمم والشعوب الأخرى، أثر بارز في ازدياد حركة التحدث والتجريب، وتطور الرؤيا الفنية، حيث لم يعد بالإمكان القبول بالأشكال والتقنيات والأساليب الاعتيادية، لمواجهة التغيرات الجديدة في البنية الاجتماعية، مستفيدين من تزايد حركات الترجمة والنقل، وافتتاح المراكز الأكاديمية والجامعات والهيئات الثقافية المختلفة، والتي كان للأردنيين الذين تلقوا تعليمهم في الخارج دور مهم فيها، ومشاركتهم في الحركة الأدبية مبدعين ودارسين ونقاد.

لقد حققت القصة القصيرة في هذه المرحلة "جملة من الخصائص المميزة، والجماليات النوعية، ومع أن هذه السمات ليست ابتداعا خالصا ولا بدعا ساطعة، فإنها يمكن أن تخص الجيل القصصي الجديد، ويمكن أن نميزه بالنظر إلى اتساعها في نتاجه، وإلى ما بذله قصاصوا هذا الجيل من جهد في تطويرها وتعديلها"[١٠].

فاللغة لم تعد تستخدم استخداما مباشرا، إنما أصبح لها استخدام جديد، استخدام شعري يعتمد التغريب في الدلالة مع التركيز على تصوير البعد الجمالي في اللغة، فلم تعد لغة القص مجرد وسيلة لإنضاج الفكرة، أو لإبراز السرد وأحداثه، وإنما أصبحت أداة جمالية مستهدفة لذاتها حيث تسهم أحيانا في كسر المألوف، وخلق بنية رمزية غرائبية تتجاوز الواقع.

[١٠]. محمد عبيد الله، جماليات القصة القصيرة في الأردن، ص ١٢٥، ٢٠٠٢م.

ولعل أبرز ملامح هذه المرحلة هي الواقعية حيث "لم يعد للقصة كيان خارجي وإنما تحولت إلى الذات أو الواقع الداخلي بدلا عن الواقع الخارجي"[٤٢]، وهو ما ولد بالتالي سمة التداخل بين السرد والشعر، والتي نلمسها في أكثر الأعمال القصصية في هذه المرحلة، حيث شاركت القصة الشعر في أدواته.

يقول "جمال يونس" في قصة "سهم مفاجئ" :

"القصة التي استعمرك بعيونها، لم تكتشف روعة تعثر الخطوات في عالمك.
لم تذق طعم النظرة التي تغدو (صباحا) يستأنس بشعاع شمس خجول.
رفعت كفها الناعمة النحيلة إلى خصلات شعرها، وسمحت لأنامل عاجية بالنواغل عميقها وسريعا.
تاهت أركان دنياك، وضج سؤال أربك الطريق، وأحالته الذات للذات"[١١].

وقد أورد عدد من الدارسين الأردنيين الأنماط والأساليب القصصية الجديدة في هذه المرحلة وبإسهاب، مسجلين أهم الأشكال المستحدثة، والتي اتسمت "بغرائبية الحدث، وتهميش الزمان، وضبابية المكان، وتوظيف الأساطير، بمعنى تجاوز عناصر الزمان والمكان وخلط الوهم بالحقيقة" وأستطيع أن أجمل هذه الأنماط على النحو التالي :

اللقطات السّينمائية :

حيث لجأ عدد من كتاب القصة القصيرة في الأردن إلى إسقاط بعض العناصر الخاصة بفن السينما على بعض المشاهد والوقائع الحياتية التي يعكسونها في قصصهم، ومن أبرز الكتاب الذين انعكست المشاهد واللقطات السّينمائية قي قصصهم : "يوسف يوسف" في مجموعته، "الطائر المفقود"، ١٩٨٥م. "بسمة النسور" في مجموعتيها "نحو الوراء"، ١٩٩١م، و"اعتياد الأشياء"، ١٩٩٤م،. و"صباح المدني" في مجموعتها "سهرة على شرفة القلق"، ١٩٩٧م. و"عدنان مدانات" في مجموعته "العمر الجميل"، ١٩٩٧م. و"محمد طميلة" في مجموعاته

[١١]. المرجع نفسه، ص ٢١٣.

"جولة العرق"، ١٩٨٠م، "الخيبة"، ١٩٨١م، "ملاحظات حول قضية أساسية"، ١٩٨١م، "المتحمسون الأوغاد"، ١٩٨٦م، و"عباس أرناءوط" في مجموعته "الماء وركض"، ١٩٩٥م. و"عزمي خميس" في مجموعته "جلبة في الممر"، ١٩٩٥م"[١٢].

اللوحات القصصية:

انعكست ممارسات بعض كتاب القصة لفن الرسم على قصصهم، فتناولوا أحداثا ممزوجة بشكل غير طبيعي، وكان طموحهم أن يعيدوا ترتيبها وتسلسلها بشكل منطقي، يوازي ما هو معروف ومألوف في واقعنا، ومن أبرز الكتاب الذي تتضح اللوحات القصصية في مجموعاتهم:

"زهيرة زقطان" في مجموعتها "أوراق غزالة" ١٩٨٦م. و"ليلى الأطرش" في مجموعتها "يوم العادي" ١٩٩٨م. و"وليم هلسة" في مجموعتيه "الجدران المثقوبة" ١٩٨١م، و"الرحيل إلى الداخل" ١٩٩٧م"[١٣].

قصص الميثولوجيا:

اعتمدت إعادة تشكيل المخزون الأسطوري، بشكل أضفى عليه دلالات معاصرة دون أن يأسرهم سحر الأسطورة، أو المكان أو الزمان الذي ظهرت فيه، أو الكيفية التي تم تقديمها به، ودون أن يؤثر ذلك على النسيج القصصي عندهم، فهم يكتبون بوعي، يسيطرون من خلاله على المواقف الميثولوجية، ويضفون عليها من روحهم المعاصرة. ومن أبرز كتاب القصة الذي انعكس ذلك في قصصهم هم:

"مفلح العدوان" في مجموعتيه "الدواح" ١٩٩٥م، و"الرحى" ١٩٩٧م. "محمد طحمير" في مجموعته "أواكس" ١٩٩٨م. و"محمد خليل" في مجموعته "ذات

[١٢]. انظر- ايناس ابو سالم، اتجاهات القصة القصيرة في الأردن، دار الكندي للنشر والتوزيع، إربد، ص ٢٠-٢٥، ٢٠٠٤م.
[١٣]. محمد المشايخ، القصة القصيرة في الأردن، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.

مساء في المدينة" ١٩٨٦م. و"نبيل عبد الكريم" في مجموعته "الصور الجميلة" ١٩٩٦م"[١٤].

قصة الفانتازيا :

وهي رفض حدود المنطق العقلي التقليدي، والانطلاق إلى عوالم ما فوق الطبيعة المادية، وهي قصص تغلب عليها الضبابية والغرابة والتفكك، ويهدف كتابها إلى التعبير عن الفوضى الحضارية والفكرية التي تعم حياتنا المعاصرة، والتي ترفض الاعتراف بالأمور الواقعية التقليدية، ومن أبرز كتاب القصة الذين استخدموا الفانتازيا في قصصهم هم :

"عبد الله الشحام" قي مجموعتيه "لا أقسم بالشمس" ١٩٨٤م، و "الآلة الصندوق" ١٩٨٥م. و"عمار الجنيدي" في مجموعته القصصية "الموناليزا تلبس الحجاب" ١٩٩٨م. و"سعيد الخواجا" في مجموعته "اللافتة" ١٩٩٦م"[١٥].

الميتا قصة :

"كانت القصة فيما سبق تلزم السارد أن يحدد علاقته بما يروي، وبالتالي لا يسرد إلا ما يعرف، أو ما يسمح له موقفه في القصة أن يعرفه، أي : المحافظة على وهم اللعبة التخييلية. لكنها في الحقبة الأخيرة اقتحمت هذه الحدود، فصار الكاتب يتدخل صراحة وقصدا في مجرى الأحداث، كاشفا لعبة الإيهام، محاورا نفسه أو شخصياته، أو يتحدث عن قصته وعن صلته بها، بوصفه خالقا وبطلا في الآن نفسه للنص السردي، وهكذا صار بمكنة القصة أن تتأمل ذاتها، وتتمرأى في ذاتها، وهناك أمثلة كثيرة على هذه النمط السردي كما في قصص لـ"أحمد النعيمي" و"زياد بركات" و"نبيل عبد الكريم""[١٦].

[١٤]. محمد عطيات، القصة القصيرة في الأردن، البدايات والروئ، ٢٠٠٦م.
[١٥]. انظر– المرجع السابق.
[١٦]. محمد عبيد الله، جماليات القصة القصيرة في الأردن، عمان، ص ٢١٢، ٢٠٠٢م.

ومن هنا، نستطيع القول، إن القصة القصيرة جنس أدبي ظهر على الساحة الأدبية، وكان حضوره المتميز والمتابع لنشأة هذا الفن وتطوره في الأردن، "يجد أنه لم يبدأ من الصفر، فقد أفاد كتّابها من تجارب في مصر وسوريا ولبنان والمهجر".

"وقد كان للصحف اليومية والأسبوعية والملاحق الثقافية والدوريات دور في انتشار هذا الفن"[١٧].

وتشير الدراسات التي أرّخت للحركة الأدبية في الأردن، أن خليل بيدس كان رائد فن القصة القصيرة في فلسطين والأردن وفي وطن العربي، فقد سبق كثيرين إلى الترجمة والنقد والتأليف، وتتجه الأنظار من ثم إلى محمود سيف الدين الإيراني الذي يعد القطب الثاني بعد بيدس، إذ بدأ بكتابة القصة منذ مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين حتى وفاته، كما تتجه الأنظار إلى نجاتي صدقي وعاف العزوني وأحمد الدباغ وحنا سويدة وعبد الحميد ياسين، الذي ظهرت أولى قصصه عام ١٩٤٦م، وإلى جانب هؤلاء كان محمد صبحي أبو غنيمة الذي نشر قصصا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الفائت. وتجلى إبداعه في قصته "محبة الله". وكان شكري شعشاعة صاحب كتاب "ذكريات"، وعبد الحليم عباس صاحب رواية "فتاة من فلسطين"، ومحمد أديب العامري صاحب "الاتجاه الأخلاقي في القصة الأردنية"، وقد برز هذا الاتجاه في مجموعته "شعاع النور"، حسني فريز في كتاب "قصص ونقدات" حيث بدأ فيه رائدا لمذهب النقد الاجتماعي المباشر في القصة في الأردن.

وهناك الكثيرون مثل عيسى الناعوري وأمين فارس ملحس ومحمد سعيد الجنيدي، "ومن القاصات المميزات كانت سميرة عزام التي راوحت في قصصها بين الرومانسية والواقعية، ونجوى قعوار التي مثلت الاتجاه الاجتماعي في

[١٧]. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الأردن، وزارة الثقافة والشباب، عمان، الأردن، ص ١٤٢، ١٩٨١م.

مجموعتها "عابروا سبيل"وصبحي أبو غنيمة صاحب "أغاني الليل" وهي أول مجموعة قصصية في الأردن[١٨]، وقد صدرت عام ١٩٢٢م. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين، لم يكن هناك سوى عملين قصصين : الأول كتاب "وطنية خالدة وأزاهير الصحراء" لروكس بن زائد العزيزي الذي صدر عام ١٩٣٦م. والثاني "أول الشوط" لمحمود سيف الدين الإيراني، الذي صدر عام ١٩٣٧م.

وفي الأربعينيات، كان هناك عدد الأسماء القصصية التي برزت من مثل : عيسى الناعوري، وفتى اليرموك، وفالح الداوود الغرابية وعقلة راجحي، ومتري شرايحة، وعبد الحليم عباس وغيرهم،وقد احتضنت كل من جريدة "الجزيرة" ومجلة "الرائد" قصص هؤلاء الأدباء[١٩].

وتعدّ الخمسينيات بداية نشوء القصة القصيرة بملامحها الواضحة في الأردن، إذ شهدت هذه الفترة انقلابا كبيرا في الحياة الفكرية، ولعبت الظروف السّياسية دورا خطيرا في تشكيل الملامح الثقافية، فقد نجم عن اقتلاع الشعب الفلسطيني عن أرضه وتشريده إلى أراض عربية أخرى، أن تغيرت البيئة المكانية في البلاد العربية التي هاجر اللاجئون الفلسطينيون إليها، وانقلبت الموازين الاجتماعية، وتبدلت البيئة الثقافية، وبخاصة في الأردن الذي لجأ إليه معظم أبناء الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٤٨م، فأصبح المجتمع الجديد مرتعا للمعاناة الفكرية الأدبية.

وقد أثرت القصة الفلسطينية في القصة في الأردن، وكان كتّاب فلسطين أسبق إلى معرفة القصة القصيرة من كتّاب الأردن، نتيجة الانفتاح الثقافي المبكر للسكان فيها على البلاد العربية المجاورة، ومعرفتهم ماهية فن القصة القصيرة ودورها في الحياة[٢٠].

[١٨]. انظر – المرجع السابق، ص ١٦٧.
[١٩]. محمود سيف الدين، ثقافتنا في خمسين عاما، دار الثقافة والفنون عمان، الأردن، ص ١٢٩، ١٩٧٢م.
[٢٠]. عطيات محمد، القصة الطويلة في الأدب الأردني، ص ٢٣.

ويمزج هاشم ياغي في كتابه القصة القصيرة في فلسطين والأردن، ١٨٥٠- ١٩٦٥م بين كتّاب القصة في الأردن وفلسطين منذ بداية الرواد، ولعل ذلك يرد إلى الاختلاط والتجانس بين أبناء ضفتي نهر الأردن، هذا التجانس الذي عبر عن نفسه بمجتمع واحد اختلط والتحم بعد نكبة ١٩٤٨م، وقد عانى هذا المجتمع بفعل الاحتلال الإسرائيلي وتشريد سكان فلسطين، من مشكلات صحية واجتماعية واقتصادية وسياسية حادة، عبرت عن نفسها بالنتاج القصصي الذي ظهر في تلك الفترة"[٢١].

وبلغ ما نشر من القصة القصيرة في عقد الستينيات في الأردن، إحدى عشرة مجموعة، وقد أسهمت مجلة "الأفق الجديد"(١٩٦١- ١٩٦٥) في نشر نتاجات الكتّاب الأردنيين من القصة القصيرة في هذه الفترة، وقد شجع النقاد كتّاب القصة القصيرة من خلال دراستهم وترجماتهم وما أجروه من مسابقات، وكذلك انفتاح جيل الشباب على الثقافات المختلفة على تعدديتها، فتعرفوا إلى مختلف الأنماط الأدبية والاتجاهات الأدبية المختلفة"[٢٢].

وإذا ما أردنا أن نتحدث عن تأصيل القصة القصيرة في الأردن فإننا نستطيع ذلك عن طريق قراءة التراث النقدي القصصي في الأردن ما بين ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ نجد جيلين متمايزين يتعاورون التراث القصصي هما، **أولا** : جيل الرواد، الذي تخطّى أخطاء كتّاب بدايات القصة القصيرة ومضوا في هذا الفن إلى مدى بعيد من التطور والنضج والالتحام بالواقع الاجتماعي والسياسي"[٢٣]. **وثانيا** : جيل الشباب، وقد كانت هزيمة حزيران بداية مرحلة جديدة، لها آثارها المادية والاجتماعية والنفسية، أعطت جيل الشباب من الكتّاب في أواخر الستينيات والسبعينيات دفعة قوية، وتصورا جديدا، ومواقف جديدة، ورؤية

[٢١]. ياغي هاشم، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، ص ١٣، ١٩٨١م.
[٢٢]. انظر – ياغي عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، ص ١٦.
[٢٣]. عليان حسن، القصة القصيرة في الأردن، عمان، ص ٢٨، ١٩٩٤م.

جديدة لأزمة الصراع العربي مع الصهاينة وآثار هذه الأزمة على الفكر والسلوك، فوصفتهم في دائرة الالتزام بالأمة والمجتمع والفرد، ووضعت الإنسان في عين التجربة، ووضعت حداً لحيرة الإنسان وقلقه، وإذا لم يعد لديه مجال للهروب الرومانسي الحالم حتى لا يتهم بالشذوذ أو السلبية.

وشهدت السّبعينيات ظهور مبدعين آخرين في مجالي القصة والرواية منهم : إبراهيم العبسي، ويوسف ضمرة، وهند أبو الشعر، وإلياس فركوخ، وهاشم غرايبة، وخليل قنديل، وعدي مدانات، ورجاء أبو غزالة، وتريز حداد، وسهير التل، وزهرة عمر، وغيرهم. لقد أصبح جيل القصة الذي دخل عقد السبعينيات قادرا على منح القصة أبعادا جديدة، ومذاقا جديدا أو أمتعة جديدة وامتدت رويته إلى واقعة في الوطن وتجاوزته إلى العالم العربي، بل إلى خارج حدود العالم العربي[٢٤]. وثمة من يربط ذلك "باتساع حركة الترجمة والتأثير والتأليف، ظهور حركة نقدية ناشطة، وتأسيس الجامعة الأردنية".

هناك اتجاهات متعددة لكتّاب القصة القصيرة في تلك المرحلة تتمثل في الاتجاه الفني ويمثله جمال أبو حمدان وأحمد الزعبي وعلي حسين خلف ومحمد طملية وغيرهم، والاتجاه الفكري ومثله إبراهيم العبسي وخليل السواحري وأبو الشعر وإنصاف قلعجي وغيرهم، واتجاه البنية الروائية في القصص ويمثلها مؤنس الرزاز وجمال ناجي وأحمد عودة ومحمد عيد وغيرهم[٢٥].

وقد ازدهر فن القصة في العقد الأخير من القرن العشرين، ولمعت أسماء كتّاب من مثل : الأستاذ مفلح العدوان، وأحمد النعيمي، وغسان عبد الرزاق، وزياد بركات، وباسم الزعبي، وسعيد الخواجة، ويحيى عبابنة. وكان هناك

---

[٢٤]. عليان حسن، القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة العربية، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ص ٣١، ١٩٩٤م.
[٢٥]. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الأردن، ص ١٦٣.

حضور لافت للقاصات مثل : جواهر رفايعة، وجميلة عمايرة، وتغريد قنديل، ومريم جبر فريحات، ونوال عباسي، وحزامة حبايب.

ومن ثم فإن التجربة القصصية في الأردن، كانت زاخرة بالأشكال القصصية التي سادت في العالم العربي، وكان ذلك لأسباب تعود إلى تراكم خبرة الكتاب في مجال القصة القصيرة، والاحتكاك بالقصة العربية، والتفاعل مع التراث القصصي العربي، والاستفادة من المؤثرات الأجنبية، ومحاولات التجديد التي أرادها القاصون في مجال القصة القصيرة.

نرى من المناسب أن نقدم تعريفها لغة واصطلاحا وعناصرها وفنياتها.

القصة لغة :

يقصد بكلمة "القص" في اللغة العربية كما ورد في مختلف المعاجم، "قص الأثر" أي تتبع مساره ورصد حركة أصحابه والتقط بعض أخبارهم، ومن هذا المعنى قوله تعالى : "قال ذلك ما كُنّا نبْغِ فارْتدّا على آثارِهما قصصا"[٢٦]. ويقول سبحانه وتعالى في آية أخرى : "وقالت لأُخْته قُصِّيه فبصُرتْ به عنْ جُنُبٍ وهُمْ لا يشعُرون"[٢٧]. ويقال : اقتص أثره وتقصص أثره. والمعنى الثاني هو الإخبار والرواية[٢٨]، فقد ورد في لسان العرب أن الكلمة تعني " تتبع أثر الشيئ شيئاً بعد شيئ وإيراد الخبر ونقله للغير، وتعني أيضاً "الجملة من الكلام"[٢٩].

وفي القاموس المحيط للفيروز آبادي وردت معان كثيرة لكلمة "قص" متفقة في معظمها مع ما ورد في لسان العرب، ومنها : قص أثره قصاً وقصصياً تتبعه، وجاءت لفظة "قص" في دائرة المعارف لفؤاد أفرام البستاني بهذا المعنى : تتبع وتقصي أخبار الناس وفعالهم شيئاً بعد شيئٍ، أو حادثة بعد حادثة".

---

٢٦. سورة الكهف، رقم الآية ٦٤.
٢٧. سورة القصص، رقم الآية ١١.
٢٨. القصة القصيرة، دراسة ومختارات، د. الطاهر أحمد المكي، دار المعارف القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م، ص ٧٣.
٢٩. لسان العرب، مادة: (ق،م).

القصة اصطلاحاً :

من الصعب للباحث أن يضع تعريفاً خاصا شاملاً للقصة، والسبب في ذلك يعود إلى كثرة التعريفات لكلمة "القصة"، وإلى استمرار عمليات التجريب والتحديث في الساحة الأدبية بشكل عام، ويمكن لنا أن نقدم هنا تعريف القصة عند معظم الكتاب والنقاد، وهو على النحو التالي :

القصة سرد واقعي أو خيالي لأفعال قد يكون نثراً أو شعراً يقصد به إثارة الاهتمام والإمتاع أو تثقيف السامعين أو القراء.

أو "إن القصة عمل أدبي، يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة، يتعمق القاص في تقصيها والنظر إليها من جوانب متعددة، ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الارتباط بزمانها ومكانها، وتسلسل الفكرة فيها وعرض ما يتخللها من صراع مادي أو نفسي وما يكتنفها من مصاعب وعقبات على أن يكون ذلك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة.

القصة في الأدب العربي قبل عصر النهضة:

وقبل أن يخوض الباحث في التعريف بالقصة القصيرة في العصر الحديث يرى من الضروري أن يلقي نظرة عابرة على وجود القصة في الأدب العربي قبل عصر النهضة.

إن القصة في جوهرها وجهة نظر وموقف من الحياة، ومع ازدهار الحضارة العربية بسبب انتشار الإسلام بدأ احتكاكها بالحضارات الأخرى المجاورة لها، ومن هنا أخذت القصة العربية نمطا جديداً، وبدأ العرب يحكون قصصاً وروايات وحكايات شعبية، وبدأوا يسجلونها، حتى وصلت إلى الجيل القادم مجموعات عديدة للقصص العربية القديمة، منها كتاب كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، والمقامات لبديع الزمان الهمذاني. كما يوجد في المكتبة العربية كتب أخرى كثيرة جمعت القصص العربية القديمة في موضوعات شتى مثل قصص محاسن الأخلاق، وقصص مساوئ الأخلاق،

وقصص في الكرم والجود، وقصص البخلاء، وقصص الملوك والأمراء، وغيرها من القصص الكثيرة. ومن أهم ما نجد من كتب حوت على القصص في التراث العربي هي : الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، والعقد الفريد لإبن عبد ربه، وأخبار الحمقى والمغفلين لإبن الجوزي، وكتاب البخلاء للجاحظ، وغير ذلك من كتب التراث.

والعرب قديماً كانوا يرون أن "القصة أقدر الأساليب الأدبية على تنمية الفضائل الإنسانية في النفوس، وتمثيل الأخلاق وتصوير العادات والتقاليد، ورسم خلجات النفوس، كما أنها إذا شرف غرضها، ونبل مقصدها، وكرمت غايتها، تهذب الطباع وترقق القلوب، وتدفع الناس إلى الاقتداء بالمثل العليا"[٣٠]، وكما يقول الدكتور زكي مبارك "بأن العرب، كجميع الأمم لهم قصص وأسلوب وأحاديث وأسماء وخرافات وأساطير يقضون بها أوقات الفراغ، ويصورون بها عاداتهم وطباعهم وغرائزهم من حيث لا يقصدون"[٣١].

وعلى هذا يمكن القول بأن الأدب العربي كان حافلا بالقصة والرواية والحكاية مثل الآداب العالمية الأخرى.

أما القصة وخاصة القصة القصيرة كنوع أدبي مستقل كما هو متعارف الآن فتاريخها قريب جداً، حيث عرفها الأدب العربي في القرن التاسع عشر، وذلك بتأثير الأدب العربي من الآداب الأوربية. فإن القصة عموما حكاية، والحكاية خصوصاً أن يروي إنسان لآخرين ما رأى أو سمع أو تصور، وهي على هذا قديمة قدم المجتمع الإنساني واطلع العرب خلال القرن العشرين اطلاعاً ما على الأدب الغربي، واطلعوا على القصة الحديثة منه، ورأوا المكانة الشامخة التي تحتلها، وألموا بالصفات التي تميزها على حين لم يكن لديهم منها شيئ.

---

[٣٠]. قصص العرب، إعداد إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، المقدمة، ج١، ص ٣٠.
[٣١]. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج١، ص ١٩٧.

والقصة القصيرة قد اختلف النقاد كثيراً في تعريفها، وذلك لأن القصة القصيرة قد ظهرت على حيز الوجود قبل أن يحاول النقاد إيجاد مجموعة من النظريات الضابطة لها، فليس من الغريب أن يجد الباحث من النقاد من يقرر أن ليس ثمة تعريف جامع لهذا النوع الأدبي الحديث الولادة. ولا يمكن للباحث أن يقوم بذكر كل تعريف للقصة القصيرة، لأن تعريفاتها قد تعددت بتعدد معرفيها، فعرفها كل واحد من النقاد حسب رؤيته[٣٢]، ولكن طبيعة الدراسة تقتضي إيراد بعض التعريفات، فيقول عز الدين إسماعيل عن القصة القصيرة بأنها "صورة من صور التعبير التي نشأت في الآداب الأوربية، ثم انتقلت إلى الأدب العربي الحديث، وورغم حداثة نشأتها فإنها استطاعت أن تكون جمهوراً واسعاً من الكتاب والقراء"[٣٣].

وهناك تعريف آخر للقصة القصيرة، وهو "أن القصة القصيرة هي نوع من النثر الفني القصصي أو الحكائي الذي يقرأ بشكل مناسب في جلسة واحدة"[٣٤]، وفي هذا السياق يعرفها امبرت اندرسون بأنها : "حكاية قصيرة ما أمكن حتى ليمكن أن تقرأ في جلسة واحدة"[٣٥].

ويعرفها يمني العيد قائلاً : إن القصة القصيرة "نموذج فني يتصل بكثير مما يهم الناس، مما قد يضمنه الفنان عمله، تجمع الفن إلى شيئ آخر مهم، فهي تعطي اللذة الفنية والمتعة الجمالية، التي يعطيها كل عمل فني، إلى جانب ما لها من خاصية أخرى، تتصل بما يشغل الناس ويهمهم في الحياة". أو

---

[٣٢]. القصة القصيرة، نظرياً وتطبيقاً، يوسف الشاروني، سلسلة الهلال، عدد ٣١٦، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٦٦-٦٧.
[٣٣]. روح العصر، دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، د. عز الدين إسماعيل، دار الرائد العربي بيروت، ١٩٩٠م، ص ١٦٥.
[٣٤]. شعرية السرد العربي، قراءات في السرد العربي المعاصر، علي كاطع خلف، الإتحاد العام للأدباء والكتاب في النجف، ط ٢٠٠٨م، ص ٩٧.
[٣٥]. القصة القصيرة، دراسة نصية لتطور الشكل الفني، د. صلاح رزق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط ٢٠٠١م، ص ٣٠.

هي سرد مكتوب أو شفوي، يدور حول أحداث محدودة، وممارسة فنية محذوذة في الزمان والفضاء والكتابة.

ويقول أليكس كيجان الروائي القاص البريطاني : "سئلت في درس : ما القصة القصيرة؟ كانت إجابتي الأولى أنها شيئ يمكن أن يقرأ في جلسة واحدة، ويمنح القارئ تنويرا فريداً، مفاجئا وذهبياً مثل شعاع الشمس وهو ينشق وسط غيمة كثيفة. وواصلت القول بأن القصة القصيرة الحقة – في رائي – أقرب إلى القصيدة من الرواية"[٣٦].

نشأة القصة القصيرة وأهم روادها ومراحل تطورها :

كما تقدم أن القصة القصيرة حديثة الولادة بالأجناس الأدبية الأخرى، و لكن يصعب على الباحث أن يحدد موطن نشأة القصة القصيرة، ومن كان أول رجل نشأ على يديه هذا النوع الأدبي ؟ فبعض النقاد يرون أن القصة القصيرة بشكلها الفني المعاصر ظهرت على أيدي عدد من الرواد، في مقدمتهم الأديب الأمريكي "إدجار آلان بو" وفي جانب آخر أقر العديد من النقاد أن القصة القصيرة نشأت على يد الأديب الروسي "جوجول" (GOGOL) الذي قدم أول مجموعة قصصية باسم "المعطف" في القرن التاسع عشر[٣٧]، يعده هؤلاء النقاد أبا القصة الحديثة بمختلف تقنياتها ومظاهرها، إذ يقول عنه مكسيم جوركي : "لقد خرجنا من تحت" معطف جوجول، على أي حال فإن "جوجول" قد أسهم في خلق القصة القصيرة، ودفع بها خطوة واسعة، ونزل بها إلى الحياة اليومية بلحظاتها العابرة، وشخصياتها المتفردة، وصراعها الدائب، وكان به من الحس الفني ومن الإدراك ما جعله يخرج بالطفل الوليد إلى الوجود متخففاً من كل الأثقال التي تحول دون نموه وتقدمه، والتزم الموضوعية البحتة في كل ما

[٣٦]. القصة القصيرة، ولسن ثورنلي، ترجمة مانع حماد الجهنين، النادي الثقافي جدة، ص ٢٥٠.
[٣٧]. انظر: فن كتابة القصة، فؤاد قنديل، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، ٢٠٠٨م، ص ٥٢.

كتب من قصص قصيرة، وصور الحياة كما هي عليه، بلا تزويق ولا وعظ ولا إرشاد، وكان "جوجول" ذا أسلوب بارع وموسيقى متميزة، وكان على قدرة بالغة على التصوير، وهذا ما جعله متمكناً من مادته[٣٨].

أما الكاتب الأمريكي "إدجار آلان بو" فلا ينكر دوره في التنظير للقصة القصيرة، فإنه سعى في الحقيقة لتشكيل عالم قصصي جديد، واستفاد من الرموز والخيالات، وبرع في القصة القصيرة وأجاد فيها، وكان يختلف في وجهة نظره عن "جوجول" إذ يرى أن "التهذيب ودروس الأخلاق لا مكان لها على الإطلاق في الإبداع الفني، ويقول معرفاً للقصة : " تقدم القصة الحقة في رأينا مجالا أكثر ملائمة دون شك لتدريب القرائح الأرقى سمواً، مما يمكن أن تقدمه مجالات النثر العادية الأخرى يبني الكاتب القدير قصة لن يشكل فكره ليوائم أحداثه إذا كان فطناً، إلا بعد أن يدرك جيداً أثراً ما".

صحيح أن القصة القصيرة قد نشأت على أيدي "جوجول"، وأخذت تنمو وتزدهر على يد الكاتب الأمريكي "إدجار آلان بو"، إلا أن تطورها الحقيقي وتأسيسها الفني لم يتم إلا على يد الكاتب الفرنسي "جي دي موباسان"، والأديب الروسي "أنطوان تشيكوف" في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فموباسان يرى أن القصة القصيرة تجيئ منفصلاً وتعبيراً عن لحظة محددة. أما بالنسبة لأنطوان تشيكوف فكان صاحب أثر كبير في تطور القصة القصيرة، كما كان له تأثير بالغ على من جاء بعده، لأنه كان يحرص على الاغتراف من الحياة بوصفها المصدر الأول في نظره للتجربة الإنسانية الخصبة".

وهؤلاء الرواد قد عرَفوا القصة القصيرة في مجتمعاتهم كجنس أدبي حتى أصبح لفيف من الأدباء يكتب القصة القصيرة، فظهر في روسيا كل من تبر جنيف، وتولستوي، وديستوفسكي، وشهدت فرنسا فوبير، وأناتون، وإميل

---

[٣٨]. انظر: نظرية الأدب، أوشن وارين. ص ٢٥.

زولا وآخرين، ولمع في أمريكا هورتون، وأرفنج، وهارت، كما ظهر في أمريكا ناقد القصة القصيرة "براندر ماتيوس" الذي كتب كتاب "فلسفة القصة القصيرة" عام ١٩٠١م، والذي يعد أول كتاب يتحدث عن كتابة القصة القصيرة، وقد ضمنه العديد من أفكار إدجار آلان بو".

القصة القصيرة في الأدب العربي:

أما القصة القصيرة في الأدب العربي فلم تظهر إلا بتأثير من الآداب الأوروبية في مطلع القرن العشرين، وذلك بعد اتصال العرب بالعالم الغربي بواسطة التبشير أو الاحتلال، أو بواسطة التجارة، أو من خلال البعثات العلمية التي أوفدتها البلاد العربية إلى البلاد الغربية[٣٩]، ويتضح من ذلك أن القصة القصيرة نوع أدبي استورده العرب من الغرب، ثم قام الأدباء والكتاب يبدعون القصص القصيرة حتى وجدت في اللغة العربية مكتبة ضخمة للقصة القصيرة التي توافق التقنيات الحديثة. وبعد دراسة تاريخ القصة القصيرة ومراحل تطورها يتضح أن القصة القصيرة قد مرت في مصر بثلاث مراحل رئيسة، المرحلة الأولى : مرحلة بحث وإنشاء لهذا النوع في الثقافة العربية، قاد هذه المرحلة كبار رواد القصة القصيرة في العالم العربي، وهم محمد تيمور ومحمود تيمور، وميخائيل نعيمة، ومحمود طاهر لاشين، وشحاتة عبيد. والمرحلة الثانية من أولئك الكبار الذين لهم إسهامات بارزة في تطور القصة القصيرة في العالم العربي، وهم حسين فوزي، ويحي حقي، ويوسف إدريس، وغيرهم، وهذه المرحلة تسمى بمرحلة النضج. ثم تأتي المرحلة الثالثة، وهذه المرحلة تبدأ من كتاب الستينيات إلى يومنا هذا. وهو العصر الذي عاش فيه الأديب مفلح العدوان وعاش فيه الأدباء الآخرون ولا يزال يعيشون والذين تطورت على أيديهم القصة القصيرة في الأدب العربي.

[٣٩]. انظر: جماليات القصة القصيرة المعاصرة، د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ص ٦٠.

عناصر القصة القصيرة وفنياتها:

إن القصة القصيرة بشكلها الفني المعاصر تتكون من عناصر وفنيات لابد من وجودها فيها، ويتضح من الدراسات الحديثة في القصة القصيرة أن عناصرها وفنياتها هي على النحو التالي:

الموضوع:

هو الحادث الذي يعتبره المبدع أساس عمله، والمبدع يختار هذا الموضوع لقصصه من تجاربه أو من تجارب الآخرين، أو من ثقافته، أو من تاريخه، أو من الوثائق.

الرؤية والفكرة:

لابد لكل عمل يقدمه مبدع أن يكون لديه رؤية خاصة وفكرة مميزة، فإنها في الحقيقة وجهة نظر المبدع والفنان، بل هي "جوهر العمل الفني"، ونواته الفكرية التي قد تصدر عن الفنان دون وعي منه لفرط خبرته، فهي تعبر عن مفهومه ونظرته للحياة، والمبدع الحقيقي هو الذي تكون له نظرة ما حول ما يقدمه من أعمال فنية، فبالرؤية والفكرة يمتاز الكاتب الكبير عن الكاتب الصغير، وإنما الفكرة هو الهدف الأصلي الذي يحاول الكاتب عرضه في القصة.

اللغة:

وهي تحتل مركزاً رئيسياً بين جميع عناصر القصة القصيرة في تشكيلها وصياغتها، ولها قيمة حقيقية في البناء القصصي، واختيار اللغة الجيدة الممتازة يجعل القصة تبتعد عن الرتابة، ولذا معظم كتاب القصة يهتمون باللغة، أما من لا يهتم منهم باللغة فيقول عنهم موسى كردي: "ومشكلة قصاصينا أيضاً أنهم لم يفهموا بعد عبقرية اللغة وطواعيتها، ولم يدركوا إدراكاً واعياً قدرتها على الأداء والتعبير، فلا بد لكل مبدع من أن

يتجنب من الأخطاء اللغوية من حيث القواعد والذوق، لأن "اللغة هي كل شيئ في عالم الأدب" [٤].

الشخصية:

وهي جوهر القصة القصيرة إذ لا يمكن وجودها بدون الشخصية، وقد يكون شخص أو قوي غيبية، أو بمعنى أدق، كل شيئ مؤثر في اتجاه الحدث صعوداً وهبوطاً، انسباطاً أو تأزماً، فإن الشخصية في القصة هي التي تتركز حولها جميع الأحداث القصصية، وقد تتعدد الشخصيات في قصة واحدة، إلى شخصيات رئيسة، وهي التي تظهر في القصة من بدايتها إلى نهايتها، وإلى شخصيات نامية، تنمو بين أحداث القصة ثم تختفي بعد قليل.

الأسلوب الفني:

والمراد منه تلك التقنية الفنية التي يتم بها تصوير الحدث أو الحالة، والكاتب في حاجة لتشكيل هذه الصياغة الفنية لوسائل عديدة ينفذ بها لشخصياته ومواقفه، لكي يخرج عمله في صورة جديدة جذابة للقارئ، لأن الأسلوب هو ما يميز كاتباً عن الآخر، فهناك كاتب يبدو أنه يعرف كل شيئ عن الأبطال فيصف ويقرر وينتقد ويعلق، وآخر لا يتدخل في القصة، وإنما يقدم لنا الأحداث وينقل إلينا ما يقوله شخوص القصة دون تعليق، والأسلوب في الحقيقة يعني نقل الأحداث من صورتها المتخيلة في ذهن الكاتب أو المبدع إلى صورة لغوية، أمام القارئ، وهو دور الكاتب وعمله في نقلها على الورق، والأسلوب الفني يشمل السرد والحوار وما إلى ذالك.

والسرد هو الوصف أو التصوير، وبهذا يعتبر جزءاً من الحدث والشخصية، فلا يمكن وجود قصة بدون سرد أو وصف وتصوير، أما الحوار فهو المحادثة التي تدور بين الشخصيات والأبطال في القصة، وهو أحد أهم التقنيات

---

[٤]. سيكولوجية الإبداع الفني في القصة القصيرة، د. شاكر عبد الحميد، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٨.

الفنية التي تشارك في بناء العمل. والحوار في القصة القصيرة لا بد أن يكون موجزاً قصيراً محكماً، لا يكون فيه إسهاب ممل للقارئ، لأن الإسهاب في الحوار في معظم الأحيان يجعل العمل الأدبي القصصي يفقد دوره وقيمته، ولاينال ذلك الإنتاج الأدبي إعجاب القارئ، ولا يحقق هدفه الذي كتب لأجله.

البيئة أو المكان والزمان :

لابد في كل قصة أن تحدد لها البيئة من حيث الزمان والمكان، لأنه ليس من الممكن أن تدور الأحداث القصصية بدون زمان ومكان، فالبيئة هي التي تحتضن الشخصيات والأحداث، فالكاتب دائماً يحدد الزمان والمكان لتقريب شخوص القصة إلى الفهم، ولا يكتفي بتحديد الزمان والمكان بل يحدد أحوال الزمان والمكان، ويصف بدقة متناهية كل ما تشمل عليه البيئة الزمانية والمكانية من مكونات وأشياء جزئية، فالبيئة المكانية تعني المكان الذي تجري فيه الأحداث، وتعني المجتمع المحيط وما فيه من ظروف تؤثر على الشخصيات، أما البيئة الزمانية فتقصد بها تلك المرحلة التاريخية التي تصورها أحداث القصة.

الوصف :

وهو من أهم عناصر القصة، وهو في المصطلح : "تصوير العالم الخارجي أو العالم الداخلي، من خلال الألفاظ والعبارات، تقوم فيه التشبيهات والاستعارات مقام الألوان لدى الرسام، والنغم لدى الموسيقى"[٤١]. والوصف يخلق البيئة التي تجري فيها أحداث القصة.

الخاتمة:

ومن هنا يتضح أن القصة القصيرة "هي فن يجمع من كل الفنون، ففيها من القصيد بناؤه وتماسكه، وفيها من الرواية الحدث والشخوص، وفيها من المسرح الحوار ودقة اللفظ واللغة، وفيها من المقال منطقية السرد ودقته

---

٤١. الموقع الإلكتروني:WWW.brahimdarghouth.com

وهي بذلك تأخذ من كل فن أدق وأجمل ما فيه"[٤٢]. والقصة القصيرة تنقسم إلى عدة أقسام منها قصص تاريخية وقصص رومانسية وقصص واقعية وغيرها. ومما سبق من تعريفات القصة القصيرة يمكن أن يلخص الباحث إلى أن القصة القصيرة فن أدبي سردي أو نوع أدبي ذو شخصيات محددة ومكان وزمان محددين، ولكن من الصعب أن يعرف هذا الجنس الأدبي بكلمات محدودة، لأن هذا النوع ما زال في تطور.

المصادر والمراجع:

١. ، د. صلاح رزق، القصة القصيرة، دراسة نصية لتطور الشكل الفنيدار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط ٢٠٠١م.
٢. إبراهيم شمس الدين، قصص العرب، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، المقدمة، ج١، ١٩٩٦م.
٣. أسامة يوسف شهاب، صحيفة الجزيرة الأردنية: دورها في الحركة الأدبية، وزارة الثقافة الأردنية عمان، الأردن، ١٩٨٨م.
٤. جاسم عاصي، نظرة شاملة في المشهد القصصي الأردني، ٢٠٠٠م.
٥. حسن عليان، فن القصة القصيرة في فلسطين، القصة القصيرة في الأردن، أوراق ملتقى عمان الثقافي، دار أزمنة عمان، الأردن، ١٩٩٤م.
٦. د. الطاهر أحمد المكي، القصة القصيرة، دراسة ومختارات، دار المعارف القاهرة، ط ١، ١٩٩٨م.
٧. د. زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج١، ٢٠٠٢م.
٨. د. شاكر عبد الحميد، سيكولوجية الإبداع الفني في القصة القصيرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.
٩. د. عز الدين إسماعيل، روح العصر، دراسات نقدية في الشعر والمسرح والقصة، دار الرائد العربي بيروت، ١٩٩٠م.

[٤٢]. القصة العربية أجيال وآفاق، المجلة العربي كويت، الكتاب الرابع والعشرون، مقال الدكتور محمد الرميحي، يوليو ١٩٨٩م، ص ٦٠.

١٠. د. مجاهد عبد المنعم مجاهد، جماليات القصة القصيرة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٩٦م.
١١. علي كاطع خلف، شعرية السرد العربي، قراءات في السرد العربي المعاصر، الإتحاد العام للأدباء والكتاب في النجف، ط ٢٠٠٨م.
١٢. فؤاد قنديل، فن كتابة القصة، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، ٢٠٠٨م.
١٣. قطامي سمير، الحركة الأدبية في شرق الاردن، (١٩٢١-١٩٤٨)، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٨٩م.
١٤. محمد المشايخ، القصة القصيرة في الأردن، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٣م.
١٥. محمد عبيد الله، القصة القصيرة في فلسطين والأردن، وزارة الثقافة في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الأردن، ٢٠٠١م.
١٦. محمد عبيد الله، جماليات القصة القصيرة في الأردن، ٢٠٠٢م.
١٧. ولسن ثورنلي، القصة القصيرة، ترجمة مانع حماد الجهنين، النادي الثقافي جدة، ٢٠٠١م.
١٨. ياغي عبد الرحمن، القصة القصيرة في الأردن، لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٣م.
١٩. يوسف الشاروني، القصة القصيرة، نظرياً وتطبيقاً، سلسلة الهلال، عدد ٣١٦، القاهرة، ١٩٧٧م.

.... ❖❖❖❖❖ ....